وَمَن اشْتَبَهَ عَلَيْهِ ذَلِكَ أَوْ غَيْرُهُ، فَلْيَدْعُ بِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»**(١)**، وَفِي رِوَايَةٍ لأَبِي دَاوُدَ: «كَانَ يُكَبِّرُ فِي صَلاتِهِ ثُمَّ يَقُولُ ذَلِكَ»**(٢)**.**

الشَّرح

قوله: (وَمَن اشْتَبَهَ عَلَيْهِ ذَلِكَ أَوْ غَيْرُهُ)، هذه وصية من الشيخ؛ أنه إذا اشتبه عليك أمر، وبحثت ولم تصل إلى نتيجة، اطرق باب الحيّ القيوم، واسأله أن يعلمك، وأن يوضح لك ما التبس عليك؛ فإن الله جَلَّ وَعَلَا قريبٌ مجيب.

(وَمَن اشْتَبَهَ عَلَيْهِ ذَلِكَ)، ذلك يعني: اشتبه عليه شيء سواءً في الأسماء والصفات والتوحيد، أو في غيره من الحلال والحرام، سائر الأحكام.

قوله: (**فَلْيَدْعُ بِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»**) «**اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ**»؛ يطلب الهداية من الاختلاف إلى الصواب، وأن يدله الله على الصواب مما

---

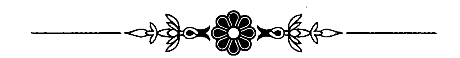
(١) أخرجه مسلم (٧٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٧٦٨)، وأحمد في المسند (٤٢/ ١٢٧).

اختلف فيه، والله قريبٌ مجيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن الدعاء وحده لا يكفي، لابد من طلب العلم، الدعاء مع طلب العلم، أما أنك تقول: (أنا سوف آخذ هذا الحديث، وأقرؤه كل آخر ليلة، ولا حاجة إني أتعلم، وسوف يأتيني العلم من الله)، ينزل عليك لا، لازم مع التعلم ومع البحث تدعو بهذا الدعاء، وتفعل السبب، فطلب العلم هذا من باب فعل السبب، والدعاء من باب التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتجمع بين السبب والتوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولماذا خصَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل؟ قالوا: لأن جبريل موكلٌ بالوحي الذي به حياة القلوب، وميكائيل موكلٌ بالقطر -يعني: المطر- الذي به حياة الأرض، وإسرافيل موكلٌ بالصور الذي إذا نفخ فيه النفخة الثانية، طارت الأرواح إلى أجسادها، فحيت بإذن الله؛ فهؤلاء الملائكة موكلون بأنواع الحياة؛ حياة القلب، حياة الأرض، حياة الأبدان.

قوله: (وَفِي رِوَايَةٍ لأَبِي دَاوُدَ: «كَانَ يُكَبِّرُ فِي صَلاتِهِ ثُمَّ يَقُولُ ذَلِكَ»)، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقف بين يدي ربه، ويسأله أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فهو بحاجة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فكيف بغيره؟ نحن أحوج إلى الله، وأحوج إلى الدعاء من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرسول الذي يوحى إليه.



فَإِذَا افْتَقَرَ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ وَدَعَاهُ، وَأَدْمَنَ النَّظَرَ فِي كَلامِ اللهِ وَكَلامِ رَسُولِهِ وَكَلامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ: انْفَتَحَ لَهُ طَرِيقُ الْهُدَى.

الشَّـرح

قوله: (**فَإِذَا افْتَقَرَ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ وَدَعَاهُ، وَأَدْمَنَ النَّظَرَ فِي كَلامِ اللهِ وَكَلامِ رَسُولِهِ وَكَلامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ: انْفَتَحَ لَهُ طَرِيقُ الْهُدَى**)، انظر بعد الدعاء ماذا يعمل؟ (**أَدْمَنَ النَّظَرَ**)، لا يقتصر على الدعاء، ويقول: (سوف يأتي العلم)، لا، دعوت، لكن اطلب العلم -أيضًا-، طلب العلم سبب، وأما تحصيل العلم، فهو من الله جَلَّ وَعَلَا، إذا فعلت السبب، الله جَلَّ وَعَلَا يعطيك المسبب.

(**أَدْمَـنَ**)، يعني: داوم النظر، ما هو يطالع لك نصف ساعة أو ساعة، وتقول: (خلاص عجزت)، خذ كتابًا ثانيًا وثالثًا ومائة ومائتين حتى تعرف الحق، اصبر، لابد من الصبر، الشيخ تقي الدين يقول: (إني ما أفسر الآية حتى أطالع مائة تفسير)، آية واحدة يطالع عليها مائة تفسير، الإنسان يصبر، وعنده جلد، ولا يشبع من العلم، ولا يقول: (هذا يكفي) انظر (**فِي كَلامِ اللهِ وَكَلامِ رَسُولِهِ**)، هذا هو الأول، ثم كلام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين وأئمة العلم، بعض الناس يقول: (لا، هؤلاء رجال ونحن رجال، نحن نأخذ من الكتاب والسنة مثلهم)، ويترك كلام أهل العلم، كلام الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم، (أنا سوف آخذ من الكتاب والسنة مباشرة، لست بحاجة إلى كلام هؤلاء)، هذا غلط وغرور -والعياذ بالله-، استفد من كلام أهل العلم وكلام الأئمة؛ فإنهم أعلم منك وأدرى منك، وهم يدلونك على فهم كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (انْفَتَحَ لَهُ طَرِيقُ الهُدَى)، بلا شك؛ لأنه فعل الأسباب، والله قريب مجيب، فالشيخ الآن رسم لطلبة العلم طريقة إذا سلكوها بإذن الله يصلون إلى العلم.



ثُمَّ إِنْ كَانَ قَدْ خَبَرَ نِهَايَاتِ إِقْدَامِ المُتَفَلْسِفَةِ وَالمُتَكَلِّمِينَ فِي هَذَا الْبَابِ، وَعَرَفَ أَنَّ غَالِبَ مَا يَزْعُمُونَهُ بُرْهَانًا وَهُوَ شُبْهَةٌ، وَرَأَى أَنَّ غَالِبَ مَا يَعْتَمِدُونَهُ يَؤُولُ إِلَى دَعْوَى لَا حَقِيقَةَ لَهَا، أَوْ شُبْهَةٍ مُرَكَّبَةٍ مِنْ قِيَاسٍ فَاسِدٍ، أَوْ قَضِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ لَا تَصْلُحُ إِلَّا جُزْئِيَّةً، أَوْ دَعْوَى إِجْمَاعٍ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، أَو التَّمَسُّكِ فِي المَذْهَبِ وَالدَّلِيلِ بِالأَلْفَاظِ المُشْتَرَكَةِ.

الشرح

قوله: (**ثُمَّ إِنْ كَانَ قَدْ خَبَرَ نِهَايَاتِ إِقْدَامِ المُتَفَلْسِفَةِ وَالمُتَكَلِّمِينَ فِي هَذَا الْبَابِ، وَعَرَفَ أَنَّ غَالِبَ مَا يَزْعُمُونَهُ بُرْهَانًا وَهُوَ شُبْهَةٌ، وَرَأَى أَنَّ غَالِبَ مَا يَعْتَمِدُونَهُ يَؤُولُ إِلَى دَعْوَى لَا حَقِيقَةَ لَهَا**)، إذا قارن طالب العلم بين دلالة الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وبين أقوال المتفلسفة وعلماء الكلام وعلماء المنطق، إذا قارن بينهما، عرف الفرق بين الطريق الصحيح المفضي إلى العلم والطريق الخاطئ الذي يفضي إلى الجهل والضلال، مفترق طرق، ينظر أين يذهب مع هؤلاء أم مع هؤلاء.

إذا كان عنده علم بطريقة المتفلسفة وعلماء الكلام، أو شغل وقته كله في طريق هؤلاء، فعليه أن يقارن ذلك بالكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، ويتبين له الفرق بين هؤلاء وهؤلاء.

(**بُرْهَانًا**)، يقولون: (برهانًا، والقرآن هذا دلالة ظاهرة، أو السنة يفيد الظن، أما هذا برهان يفيد اليقين، قواعد المنطق وعلم الكلام تفيد اليقين، وهي براهين يقينية، وأدلة الكتاب والسنة أدلة ظنية أو شبهة)، هذا موقفهم من الكتاب والسنة، وهذا هو الذي أهلكهم -والعياذ بالله.

قوله: (**لَا حَقِيقَةَ لَهَا**)، إلى سراب، ولكن يزين للناس أنه صحيح وأنه عقل، يقولون: (العقل، هذا العقل)، يسمون أنفسهم العقلانيين.

قوله: (أَوْ شُبْهَةٍ مُرَكَّبَةٍ مِنْ قِيَاسٍ فَاسِدٍ) يقول:

حُجَجٌ تَهَافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا وَكُلٌّ كَاسِرٌ مَكْسُورُ[1]

قوله: (أَوْ قَضِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ لَا تَصْلُحُ إِلَّا جُزْئِيَّةً، أَوْ دَعْوَى إِجْمَاعٍ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، أَو التَّمَسُّكِ فِي المَذْهَبِ وَالدَّلِيلِ بِالأَلْفَاظِ المُشْتَرَكَةِ)، هذا ما عندهم، (المُشْتَرَكَةِ) سبق لنا أنها الألفاظ مشتركة؛ أن يشترك اللفظ والمعنى، ما اتفق في اللفظ والمعنى، فهو لفظٌ مشترك، وما اختلف في اللفظ والمعنى، فهو متباين، وما اتفق في المعنى، واختلف في اللفظ، فهو مترادف.

الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر أن الناس في مصادر التلقي في الدين على أقسام في تلقيهم للدين والمصادر التي يبنون عليها دينهم:

القسم الأول: أهل العلم والإيمان، وهؤلاء مصدرهم الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، هذا مصدرهم، لا يخرجون عنه، وهذا فيه ضمانة السلامة من الانحراف، والسلامة من الضلال؛ لأنه وحيٌ من الله عَزَّوَجَلَّ، أمرنا باتباعه؛ ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف:٣]، فيتبع ما أنزل الله في القرآن وما أنزل الله في السنة، هذا هو الصراط المستقيم الذي قال الله جَلَّ وَعَلَا فيه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام:١٥٣]، من كان يريد النجاة والسلامة من الضلال والانحراف، فليأخذ هذا الطريق، وهذا هو منهج أئمة المسلمين من أهل الحديث وأهل العقيدة السليمة، وهذا هو الذي أوصى به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا**

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨)، وبيان تلبيس الجهمية (٢/ ٢٥٣)، والصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٧).

بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[(١)]، هذه وصية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أننا نتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [التوبة:١٠٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، يعني: بتحقيق وبصيرة، ليس اتباعًا مجرّد انتساب بدون فقه في مذهبهم ومعرفة ما هم عليه، فإن مجرد الانتساب لا يكفي، كم من منتسب إلى السلف ويقول: أنا سلفي. وهو لا يدري عن منهج السلف، ويقول ما لا يقوله السلف، ويبتكر أشياء من عنده، ويقول: هذا مذهب السلف. لأنه لايعرف مذهب السلف؟ فالذي يريد أن ينتسب إلى السلف عليه أن يدرس منهجهم ومذهبهم ومأخذهم وسيرتهم؛ حتى يتبعهم بإحسان، فإذا لم يكن على هذا المستوى من العلم، فإنه لا يتبعهم بإحسان، بل إنه يقع في الأخطاء، ويظن أن هذا مذهب السلف، وكم حصل هذا؟ خصوصًا في زماننا، الآن المنتسبون إلى مذهب السلف -الحمد لله- كثير، وهذا شرف وخير، ونرجو لهم الخير -إن شاء الله-، لكن نحثهم على أن يتعلموا منهج السلف، ولا يغلوا في منهج السلف، ويقولوا: هذا منهج السلف. الغلو ليس من منهج السلف، التطرف ليس من منهج السلف، هؤلاء ليسوا من السلف؛ لأنهم لم يتبعوهم بإحسان، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، ما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ فقط، بل قال: ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾، هذا هو المقصود، وهذا هو مصدر التلقي عند أهل السنة والجماعة، يتلقون دينهم من هذا المصدر العظيم، ولذلك لم يضلوا -والحمد لله-، وهم على بصيرة، وعلى نور، وعلى هدى وطريقٍ

---

(١) سبق تخريجه (ص٣١).

مستقيم، سلموا من الشذوذ والعلل والانحراف والغلو والتطرف، سلموا من التساهل والجفاء، فهذه فائدة التمسك بمنهج السلف والتلقي من مصادرهم، وهي الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة، وما عليه إجماع المسلمين.

الطائفة الثانية: طائفة المتكلمين الذين أخذوا دينهم عن الجدل وعلم الكلام، بنوا عليه عقيدتهم، وأعرضوا عن الكتاب والسنة، وصاروا يبنون عقيدتهم على علم المنطق وعلم الكلام والجدل ولم ينتهوا إلى شيء، بل إلى الحيرة والاضطراب؛ كما جاءكم في أول الكتاب أن شاعرًا منهم يقول[١]:

نِهَايَةُ إِقْدَامِ العُقُولِ عِقَالُ ... وَأَكْثَرُ سَعْيِ العَالَمِينَ ضَلَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا ... سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

ما استفادوا شيئًا إلا الخلاف؛ قال فلان وقال فلان، يقول بعضهم: (إني لآتي إلى فراشي، وآخذ الغطاء، ثم أفكر في أقوال الناس؛ حجة فلان كذا، والرد عليه كذا، وحجة فلان كذا، والرد عليه كذا، ثم يطلع الفجر، وأنا لم أتوصل إلى شيء)[٢]، فهذا المنهج يفضي إلى الحيرة والاضطراب، حتى إن بعض أساطينهم لما حضرته الوفاة، أدرك هذا، وقال: (أموت على عقيدة عجائز نيسابور)[٣]، عجائز ما دخلوا بعلم الكلام، على الفطرة، ترك كل الذي عاش عليه، وأدرك أنه خطأ، وتمنى أن يكون عاميًّا مثل العجائز؛ ليسلم من هذه الحيرة وهذا الاضطراب. وشهادات كثيرة من أساطينهم شهدوا بها على أنفسهم أنهم ما أدركوا إلا الحيرة

---

(١) انظر: (ص٨٢).

(٢) هذا من كلام ابن واصل الحموي حكاه عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨)، وفي درء التعارض (١/ ١٦٥).

(٣) هذا من كلام الجويني حكاه عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٧٣)، وفي الفتاوى الكبرى (٦/ ٦١٧).

والتيه؛ لأنهم تركوا الكتاب والسنة، وقالوا: (إن الكتاب والسنة أدلةٌ سمعية تفيد الظن، ولا تفيد اليقين، وأما أدلة المنطق وعلم الكلام، فهي براهين عقلية يقينية تفيد اليقين)، وما هو هذا اليقين الذي توصلوا إليه؟ ما توصلوا إلى شيء إلا إلى حيرة واضطراب بأن فلانًا يقول كذا وفلانًا يقول كذا، أيهم الصحيح؟ ما معهم أحد له وجه صحيح.

فهذه هي نتيجة التلقي عن علم الكلام وعلم المنطق وبناء الدين عليه؛ أنه يفضي إلى الاضطراب والحيرة، مع أنهم أناسٌ عقلاء وحذاق وأساطين في الجدل، لكن ما توصلوا إلى شيء؛ لأن كل واحد منهم يقول: (الحق كذا والحق كذا)، وليس هناك ميزان يرجعون إليه، وهو الكتاب والسنة، ما عندهم ميزان، من الذي يضمن أن فلانًا مصيب وفلانًا مخطئ؟ لا يضمن هذا إلا الكتاب والسنة، وهم لا يستدلون بالكتاب والسنة، فهذا الذي أوقعهم في الحيرة والاضطراب؛ أنهم تركوا التلقي من الكتاب والسنة، وبنوا دينهم على قيل وقال، على قول فلان وحجة فلان، وعلم المنطق وعلم الجدل، المقدمات والنتائج، الجوهر والعرض والجسم، وما أشبه ذلك من توهماتهم، مصطلحات بشرية لا توصل إلى شيء، كل طائفة لها مصطلح تعارض مصطلح الطائفة الأخرى، فلذلك صاروا في صراع، وعاشوا في صراع فيما بينهم، وكفّر بعضهم بعضًا، وضلّل بعضهم بعضًا، ولم يتوصلوا إلى شيء، فهناك اختصام بين الجهمية والمعتزلة، وبين المعتزلة والأشاعرة، هناك اختصام بينهم؛ كل واحد يضلل الآخر، أهل السنة والجماعة ليس عندهم شيء من هذا؛ لأنهم يسيرون على منهجٍ سليم، ولا عندهم شيء من هذه الحيرة وهذا الاضطراب وهذه التخطئة والتضليل والتجريح فيما بينهم؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، هؤلاء تفرقت

بهم السُبل، تركوا الصراط المستقيم، واتبعوا السُبل، فتفرقت بهم، ولم يصلوا إلى نتيجة. هذه طائفة، ولهذا سيأتي كلام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي ذكره الشيخ أنه قال: (حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ وَيُقَالَ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ)(١)، والإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (أَوَ كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجَدَلِ هَؤُلَاءِ؟)(٢)، فلايضبط الحق إلا الكتاب والسنة؛ لأن الله أنزلهما هدى كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٣-١٢٦]، هذه النتيجة.

الطائفة الثالثة: طائفة المتصوفة والقبوريين والخرافيين، هؤلاء مصدر تلقيهم لا يستدلون بالكتاب والسنة، وإنما يستدلون بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعة، أو الحكايات التي يتناقلونها، أو المنامات والأحلام التي يرونها في المنام، أو بمشائخهم الذين أضلوهم، ولا يخرجون عن طُرقهم؛ لأن كل شيخ له طريقة يبايعون عليها، ولا يخرجون؛ لأنهم لو خرجوا يهلكون، يأتيهم الشيطان ويقول لهم: (إن نقضتم العهد، نزل بكم العذاب، وأنتم بايعتم هؤلاء)، من العجيب أنهم لو بايعوا البيعة الشرعية لإمام المسلمين، يخونون، لكن إذا بايعوا البيعة البدعية، لا يخونون، يخافون من العذاب، فهؤلاء هذا منهجهم، وهذا مشربهم، وهذا مصدر تلقيهم: إما حديث ضعيف لا يُحتج به، أو مكذوب يحيونه

---

(١) سيأتي تخريجه (ص١٠٨٢).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٥٦).

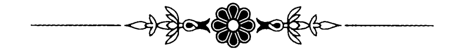
وينشرونه، وهو مكذوب أو ضعيف شديد الضعف لا يحتج به، ما يخرجون عن هذا، كل أدلتهم إذا نظرت فيها، وجدتها من هذا النوع، أو حكايات؛ فلان حصل له كذا، وفلان وقف في كذا، وفلان دعا عند القبر، حصل له كذا، وفلان طلع عليه الميت من قبره، وقال له: أنا أقضي حاجتك..؛ كما يأتي حكايات من الشيطان، أو رؤى وأحلام، الرؤى والأحلام لايُبنى عليها دين، الرؤيا إنما هي الصحيحة مبشرات فقط، إنما الرؤى مبشرات، ولا يُبنى عليها دين، لا أحكام شرعية ولا دين يُبنى على الأحلام؛ لأن الدين إنما يُبنى على ما جاء به الكتاب والسنة، وبعد وفاة الرسول ﷺ انقطع الوحي، فلاينزل وحي على ميت ولا على فلان ولا على فلان -كما يقولون-، ويروجون حكايات ويكتبونها ويؤلفونها من هذا النوع، فلذلك تجد الخرافيين الآن يروجون الخرافات، يكتبون مناشير وأوراق، ويوزعونها، ويقولون: (إن الذي يوزعها يحصل على كذا، وله من الأجر كذا، ويرفع إن كان موظفًا، والذي ما ينشرها يموت، ويأتيه مرض، ويخسر في تجارته و...) إلى آخره، هذا شيء ترونه أنتم، هذه طريقة الخرافيين، تقول له: ما الدليل من الكتاب والسنة؟ يقول: (هذه رؤيا، الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية رأى كذا وكذا)، هل الرؤيا يُبنى عليها شيء؟! يُبنى عليها الدين؟! إنما رؤى الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- هي وحي من الله، رؤيا النبي وحي، لكن رؤيا غير نبي الله ما هي بوحي، ولا يُبنى عليها حكم شرعي أبدًا، لكن هي إما أنها مبشرات لأهل الخير من عاجل البشرى، وإما أنها منذرات، تنذره أنه على خطأ، وأنه على كذا؛ من أجل أن يتوب من خطئه، أما أنه يُبنى عليها حلال وحرام وعبادة، فهذا أمرٌ لا يجوز، لا يُبنى إلا على كتاب الله وعلى سنة رسوله ﷺ.



الفرقة الرابعة: فرقة العلمانية، والمعجبون بالغرب وحضارة الغرب، هؤلاء يبنون دينهم على ما يقوله الغرب، ما قاله الغرب، فهو صحيح، وليس فيه جدال، وما لم يقله الغرب، فهذا لا يُنظر إليه، هذا عندهم الآن، ولذلك يدعون إلى أن المسلمين يقلدون الغرب، ويتبعون الغرب؛ لأجل أن يلحقوا بالركب، ويخرجوا من الجمود، ويخرجوا من كذا ومن كذا، يدعون إلى هذا الآن، يقولون: (إن المسلمين يتركون دينهم، ويأخذون ما عليه الغرب من عادات أو تقاليد أو توافه)، نعم لو أخذ المسلمون بما عليه الغرب من الصناعة والشيء المفيد والتعلم، هذا شيء جيد، لكن لا يأخذون إلا القشور والأشياء التي لا خير فيها، ويقولون: (هذه هي الحضارة، وهذا هو التقدم)، هذا منهج لهؤلاء أن التشريع عندهم ما شرعه الغرب؛ لأنهم يعظمون الغرب، ويظنون أنهم حصلوا على هذه التقنية، وهذا بسبب جهلهم وخرافاتهم وضلالهم، لا يدرون أن هذا امتحان من الله لهم، واستدراج من الله لهم، أو أنهم جدّوا في طلب هذه الأشياء ودرسوها وأتقنوها، فنتيجة إما استدراج وإما نتيجة الجد في الطلب، هم جدوا في أمور الدنيا، لكن تركوا الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٦، ٧]، فهذه طريقة هؤلاء الذين بُلي المسلمون بهم الآن، يريدون أن يحولوا مجتمع المسلمين إلى مجتمع غربي بسفور النساء وتمرد النساء، وتعاطي المسكرات والمخدرات، والأقوال الإلحادية يسمونها حرية الرأي، وكلٌّ يقول ما يريد؛ يسب الله، يسب الرسول، يسب الدين، هذا رأيهم، هذه آراؤهم: حرية الرأي، الرأي والرأي الآخر، يسب الدين، ويسب الرسول، ويسب العلماء، ويقولون: (هذا الرأي الآخر)، هذا ما يريده العلمانيون الآن؛ لأن مصدر تلقيهم عن الغرب، لم يتلقوا من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ

وما عليه سلف هذه الأمة، ويظنون أن كون المسلمين ليس عندهم صناعة وتقنية أنه بسبب الدين، الدين هو يأمر بالإهمال؟! أو يأمر بالكسل؟ أو يأمر بالبطالة؟!! الدين يأمر بالجد وطلب الرزق والدراسة والتعلم؛ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠]، يأمر بالتعلم، فهذا ما هو بنتيجة أنهم تمسكوا بدينهم، ما تمسكوا بدينهم لأن دينهم يأمرهم بالجد والاجتهاد وعدم الكسل، وإنما هذا لأنهم لم يتمسكوا بدينهم، وجنحوا إلى الراحة والإخلاد إلى الأرض والسهر بالليل والنوم بالنهار، متى ينتجون هؤلاء؟! وهم سهر بالليل ونومٌ بالنهار، أو مخدرات ومسكرات، أو مع الألعاب الرياضية والنوادي الرياضية شبابهم، أو مع (تفحيط السيارات)، متى ينتج هؤلاء؟!! هذا مجتمع ما ينتج شيئًا، لكن هل هذا بسبب الدين؟! الدين ينهى عن هذا، الدين يأمر بالجد والاجتهاد، وكما في الأثر: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا»، ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧].

فالدين ديننا -ولله الحمد- دين الاعتدال، ليس بدين الرهبانية ودين التشدد أو دين التسيب، وإنما هو دين الجد والاجتهاد والاعتدال في الدين والدنيا، فكون المسلمين متخلفين من ناحية الصناعة والأمور التقنية، هذا نتيجة لكسلهم وإهمالهم وتفريطهم، حتى أصبحوا عالة على غيرهم، ولو أنهم تمسكوا بدينهم حق التمسك، لأنتجوا، ولاشتغلوا لدنياهم ولآخرتهم، ولصار الكفار تبعًا لهم؛ مثلما كان في أول الإسلام، فهذه الأمور يجب التنبه لها.



ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ إِذَا رُكِّبَ بِأَلْفَاظٍ كَثِيرَةٍ طَوِيلَةٍ غَرِيبَةٍ عَمَّنْ لَمْ يَعْرِفِ اصْطِلَاحَهُمْ -أَوْهَمَتِ الْغِرَّ مَا يُوهِمُهُ السَّرَابُ لِلْعَطْشَانِ-، ازْدَادَ إِيمَانًا وَعِلْمًا بِمَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَإِنَّ الضِّدَّ يُظْهِرُ حُسْنَ الضِّدِّ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ بِالْبَاطِلِ أَعْلَمَ، كَانَ لِلْحَقِّ أَشَدَّ تَعْظِيمًا، وَبِقَدْرِهِ أَعْرَفَ.

الشَّرح

قوله: (ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ إِذَا رُكِّبَ بِأَلْفَاظٍ كَثِيرَةٍ طَوِيلَةٍ غَرِيبَةٍ عَمَّنْ لَمْ يَعْرِفِ اصْطِلَاحَهُمْ -أَوْهَمَتِ الْغِرَّ مَا يُوهِمُهُ السَّرَابُ لِلْعَطْشَانِ)؛ لأن عندهم قواعد مركبة من المقدمات والنتائج، يسمونها مقدمات ونتائج، فالذي ما عنده خبرة يغتر بهذه، يقول: (والله هذه صحيحة، هذه عقليات، وهذه بَدَهِيَّات)، يغتر بها، وهي في الحقيقة سراب من إنسان عطشان في البر من وهج الشمس، ينظر له سرابٌ أمامه، يفرح ويقول: هذا ماء. يذهب يركب ناحيته، وإذا جاء لم يجد شيئًا، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـٔٗا﴾ [النور:٣٩]، أنتم ترون السراب، أنتم كلكم من أهل البادية، بعضكم يذهب إلى البر، ويرى السراب وقت الظهيرة كأنه ماء، ثم إذا أقبلت، ما شاء الله ما هذه البحار هذه، وهذه الأنهار، وهو ما في شيء، شعاع الشمس ينعكس على القيعان، فيصير كأنه ماء.

هذه القواعد المنطقية وعلم الكلام والمقدمات والنتائج، والجوهر والعرض، الجواهر الفردى والجسم، هذه كلها اصطلاحات كلامية لا أصل لها ولا وجود لها، إنما هي اصطلاحات كلامية. مثلًا يقول: (الصفات أعراض، والأعراض لا تقوم إلا بجسم، والجسم لا يكون إلا مركبًا من الجواهر الفردى،

والأجسام متشابهة، فيلزم هذه النتيجة: يلزم من إثبات الصفات التشبيه؛ لأنه إذا أثبتناها، وصفنا الله بأنه جسم، والأجسام متشابهة، فيلزم التشبيه)، هذا دليلهم الطويل المعقد الذي لانتيجة له، كله باطل من أوله إلى آخره، الله جَلَّوَعَلَا لا يقاس بخلقه، ولا يشبهه أحد من خلقه، فله أسماء وصفات تليق به، وللخلق أسماء وصفات تليق بهم، ولا يشتبه هذا بهذا، فهم جعلوا الله مثل غيره، يقاس على غيره -تعالى الله عما يقولون-، قياس الخالق بالمخلوق هذا قياس فاسد.

قوله: (عَمَّنْ لَمْ يَعْرِفِ اصْطِلَاحَهُمْ)، الذي ما يعرف علم المنطق وعلم الكلام يغتر به، ويظنه صحيحًا، لكن إذا درسه وسبر أغواره، ورأى نتائجه، يعرف أنه باطل، ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما درس هذا الفن أو هذه الفنون، أعجز أهلها، وأفحم أهلها بالرد عليهم، وأسكت أفواههم؛ لأنهم لا يستطيعون أن يباروه فيها، وهو أعلم بها من أصحابها، ولهذا يقول أصحاب المذاهب: (إن ابن تيمية أعرف بمذاهبنا منّا)، يذكر لهم أشياء ما يعرفونها من مذاهبهم، نتيجة ماذا؟ نتيجة الاطلاع والدراسة، أما الإنسان الذي لا يدرس هذه الأمور، ولا يدري عنها، يظنها صحيحة، وهذا مما يدل على الحث على التعلم والاطلاع حتى يكون الإنسان على بينة، ولا ينخدع.

قوله: (أَوْهَمَتِ الْغِرَّ)، الإنسان الغر الذي لا يميز الأمور، ويغتر بالظواهر أنها حقيقة، وأنها أدلة عقلية وبراهين يقينية، وهي مثل السراب للعطشان، السراب إذا أقبلت وقت القيلولة وقت الهجير، ترى أشعة الشمس تنعكس على القيعان، فتصير كأنها بحار أو أنهار تجري، تفرح تقول: الحمد لله هذا ماء، وأنا عطشان. تروح تركض تريد الشرب، فإذا وصلت، ما لقيت شيئًا؛ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [النور:٣٩]، هذه

مثل حجج علماء الكلام، لها بريق ولها لمعان، ويسمونها عقلية وبراهين، وهي في الحقيقة لاشيء، ولا توصل إلى شيء، هل هذه مثل أدلة الكتاب والسنة؟!!

قوله: (ازْدَادَ إِيمَانًا وَعِلْمًا بِمَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَإِنَّ الضِّدَّ يُظْهِرُ حُسْنَ الضِّدِّ)، هذا قطعة من بيت:

وَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ وَبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الأَشْيَاءُ[1]

قوله: (وَكُلُّ مَنْ كَانَ بِالْبَاطِلِ أَعْلَمَ كَانَ لِلْحَقِّ أَشَدَّ تَعْظِيمًا، وَبِقَدْرِهِ أَعْرَفَ)، يقول: (اطلع على شبهاتهم؛ حتى لا تغتر بها، اطلع عليها، وألِمَّ بها)، هذا فيه دليل على أنه يجب على طالب العلم أن يدرس شبهات المخالفين من أجل أن يعرف حقيقة ما عندهم؛ لئلا يغتر بها، ولا يقتصر على معرفة الحق فقط، بل يعرف الحق، ويعرف مضاده؛ حتى لا يلتبس عليه فيما بعد، والله جَلَّوَعَلَا ذكر في القرآن الحق والباطل، وضرب الأمثلة، ولذلك العلماء يذكرون في كتب العقائد مذاهب المعتزلة والجهمية والأشاعرة والماتريدية، هل يذكرون هذا لأنه صحيح وأنهم يحبون هذا؟ لا، يذكرونها ليبينوا زيغهم وبطلانهم؛ حتى لا يغتر به أحد، بعض

---

(١) جاء هذا البيت في أبيات من شعر أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي، المتوفى سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، قال فيها:

مَن يَظلِمُ اللُؤَماءَ في تَكليفِهِم أَن يُصبِحوا وَهُمُ لَهُ أَكفاءُ
وَنَذيمُهُم وَبِهِم عَرَفنا فَضلَهُ وَبِضِدِّها تَتَبَيَّنُ الأَشياءُ

انظر: ديوان المتنبي (ص١٢٧)، والحماسة المغربية (١/ ٤٧٣).

وجاء في أبيات لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الإشبيلي، المتوفى سنة عشرين وخمسمائة وقيل ثمان وعشرين وخمسمائة، قال فيها:

يا هاجِرًا أَسمَوهُ عَمدًا واصِلا وَبِضِدّها تَتَبيّن الأَشياءُ
أَلغَيتَني حَتّى كَأَنَّكَ واصِلٌ وَكَأَنَّني مِن طُولِ هَجرِكَ راءُ

انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٢/ ١٠٤).

الناس يقول: (لا، أنا يكفيني أني أعرف الحق فقط)، لا، ما يكفي أنك تعرف الحق، لابد تعرف الحق، وتعرف الباطل، ولهذا في الدعاء: (اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه)، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥]، وفي قراءةٍ: (وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ) بالفتح[١]، تستبين -أيها الرسول- سبيلَ المجرمين، فلابد أنك إذا عرفت الحق، تعرف ما يضاده، من أجل أن تكون ضده، ولا تغتر به، وتنبه عليه. لكن لا تذهب للباطل وتدرس الأشياء هذه قبل أن تدرس الحق، لابد أولًا أن تعرف الحق، ثم بعد ذلك تدرس شبهات هؤلاء، أما أنك من الأول تبدأ بعلم المنطق وعلم الكلام، ينطلي عليك، وتظنه صحيحًا، وبعد ذلك يصعب عليك الخروج منه، لكن إذا صار عندك مضاد ومقاوم ونور يكشف لك الطريق، فتسلح أولًا بالعلم الصحيح، ثم اطلع على الباطل؛ من أجل أن تكشفه وترده، ولذلك -والله أعلم- ما جاء في وقت الشيخ وبعده مثله في الإحاطة بمذاهب الناس، ولذلك استطاع أن يرد عليهم ردًا مفحمًا؛ لأنه سبر مذاهبهم وأقوالهم وشبهاتهم، حتى إنه يعرف من مذاهبهم ما لا يعرفون هم من مذاهبهم، فضل الله يؤتيه من يشاء، لكن هذا بعد العناية وبعد الصبر وبعد التحمل وبعد طلب العلم الصحيح، ما جاء هذا عفو الخاطر، ولا جاء وحي من الله، جاء بالتعلم والصبر والمذاكرة، فبعض الناس يظنّ أن العلم يأتيه بيوم وليلة، أو بمطالعة كتاب، لا، العلم يحتاج إلى بذل، لكن العلم يؤخذ شيئًا فشيئًا، لا يؤخذ دفعة واحدة، ولا يؤتى من أعلاه، يؤخذ على مسألة مسألة.

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣٣٧)، والسبعة في القراءات (ص٢٥٨)، والحجة في القراءات السبع (ص١٤١)، ومعاني القراءات للأزهري (١/ ٣٥٧).

كل من سبر الباطل، وعرف مداخله، وعرف أسبابه، صار أكثر تعظيمًا للحق، وأما الذي يجهل الباطل، فإنه يغتر به، ويظنه حقًّا.

فأنت حينما تدرس هذه الأشياء لا تدرسها للفائدة، تظن أنها تفيد، لكن تدرسها لتعرف بطلانها، وترد عليها.



فَأَمَّا المُتَوَسِّطُ مِنَ المُتَكَلِّمِينَ، فَيُخَافُ عَلَيْهِ مَا لَا يُخَافُ عَلَى مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ، وَعَلَى مَنْ قَدْ أَنْهَاهُ نِهَايَتَهُ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ هُوَ فِي عَافِيَةٍ، وَمَنْ أَنْهَاهُ قَدْ عَرَفَ الْغَايَةَ؛ فَمَا بَقِيَ يَخَافُ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ، فَإِذَا ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ، وَهُوَ عَطْشَانُ إِلَيْهِ، قَبِلَهُ، وَأَمَّا المُتَوَسِّطُ، فَمُتَوَهِّمٌ بِمَا تَلَقَّاهُ مِنَ المَقَالَاتِ المَأْخُوذَةِ تَقْلِيدًا لِمُعَظِّمِهِ وَتَهْوِيلًا.

الشَّرح

قوله: (فَأَمَّا المُتَوَسِّطُ مِنَ المُتَكَلِّمِينَ، فَيُخَافُ عَلَيْهِ مَا لَا يُخَافُ عَلَى مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ، وَعَلَى مَنْ قَدْ أَنْهَاهُ نِهَايَتَهُ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ هُوَ فِي عَافِيَةٍ، وَمَنْ أَنْهَاهُ قَدْ عَرَفَ الْغَايَةَ)، الذي ما دخل فيه هذا في عافية، والذي أنهاه، عرفه، وعرف أنه لا شيء، لكن المشكل المتوسط منهم الذي دخل، ولكنه ما تمكن، فهذا يقع في حيرة، يريد أن يرجع لا يستطيع، يريد أن يمضي لا يستطيع، يقع في حيرة المتوسط منهم، الذي دخل فيه لكنه لم يتقنه، عليه خطرٌ أشد، فالسلامة في عدم الدخول فيه، هذا لا جدال فيه أن السلامة في تركه، لكن من دخل فيه وأتقنه، هذا -أيضًا- أقرب إلى الرجوع إلى الحق؛ لأنه عرفه وسبره، وعرف أنه باطل، فتركه عن اقتناع، ولا ينخدع به، إنما الخطر على المتوسط في علم الكلام، وسيضرب الشيخ لكم مثالًا.

فإن من لم يدخل فيه، فهو في عافية، وهذا هو المطلوب، ومن أنهاه، عرفه، ولم يغتر به.

قوله: (فَمَا بَقِيَ يَخَافُ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ، فَإِذَا ظَهَرَ لَهُ الحَقُّ وَهُوَ عَطْشَانُ إِلَيْهِ، قَبِلَهُ)، إذا ظهر له الحق، وهو عطشان؛ لأنه ما وجد إلا سرابًا، فإذا وجد الماء حقيقةً، فرح به، كذلك الذي عرف علم الكلام، وأنه لا يوصل إلى شيء، ورأى الكتاب والسنة، يفرح ويستريح.

قوله: (وَأَمَّا المُتَوَسِّطُ، فَمُتَوَهِّمٌ بِمَا تَلَقَّاهُ مِنَ المَقَالَاتِ المَأْخُوذَةِ تَقْلِيدًا لِمُعَظِّمِهِ وَتَهْوِيلًا)، المتوسط هو الذي عليه الخوف، فإما أن الإنسان لا يدخل فيه، وهذا أحسن، وإما أن يُنهيه ويعرف أغواره وما فيه من الخطأ والضلال؛ من أجل أن يجتنبه عن معرفة.

أنت إذا أردت أن تسافر، هل تسلك الطريق الذي لا تدري عنه، فيه سباع أو فيه قطاع طرق، أو مفاوز ما فيها ماء، أم أنك تسأل عن الطريق، وماذا يشتمل عليه؟ وما الذي أمامه؟ لا بدّ أن تعرف الطريق أوّلًا، أو تذهب مع أناس يعرفون الطريق، أما أنك تذهب في طريق لا تدري ماذا يلاقيك فيه، هذا مثل الذي يدخل في علم الكلام، يمشي في طريق لا يدري ماذا فيه، ولا أين نهايته، فكونه يحجم من الأول أحسن له.



وَقَدْ قَالَ النَّاسُ: أَكْثَرُ مَا يُفْسِدُ الدُّنْيَا: نِصْفُ مُتَكَلِّمٍ، وَنِصْفُ مُتَفَقِّهٍ، وَنِصْفُ مُتَطَبِّبٍ، وَنِصْفُ نَحْوِيٍّ؛ هَذَا يُفْسِدُ الأَدْيَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ الْبُلْدَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ الأَبْدَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ اللِّسَانَ.

وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَغَيْرِهِمْ هُمْ فِي الْغَالِبِ ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾، يَعْلَمُ الذَّكِيُّ مِنْهُم الْعَاقِلُ أَنَّهُ لَيْسَ هُوَ فِيمَا يَقُولُهُ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَأَنَّ حُجَّتَهُ لَيْسَتْ بَيِّنَةً، وَإِنَّمَا هِيَ كَمَا قِيلَ فِيهَا:

حُجَجٌ تَهَافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا وَكُلٌّ كَاسِرٌ مَكْسُورُ[1].

الشرح

قوله: (وَقَدْ قَالَ النَّاسُ: أَكْثَرُ مَا يُفْسِدُ الدُّنْيَا: نِصْفُ مُتَكَلِّمٍ، وَنِصْفُ مُتَفَقِّهٍ، وَنِصْفُ مُتَطَبِّبٍ، وَنِصْفُ نَحْوِيٍّ؛ هَذَا يُفْسِدُ الأَدْيَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ الْبُلْدَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ الأَبْدَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ اللِّسَانَ)، هذا المثال، أكثر ما يفسد الدنيا أربعة:

هذا الذي نصف المتكلم يفسد الأديان، يعني: يفسد العقائد.

وهذا المفتي نصف الفقيه، الذي نسميه الآن نصف متعلم، هذا يفسد البلدان في فتاواه، يفتي بجهل، فيوقع الناس في الخطأ، أو يقضي بجهل، وينزع الحقوق من أصحابها لغير أصحابها؛ لأنه ليس متمكنًا من الفقه، فيفسد البلدان بفتاويه، وهذا هو الواقع الآن، كم أفسد هؤلاء أنصاف المتعالمين كم أفسدوا على الناس دينهم!

ونصف الطبيب: يفسد الأبدان، يجري عمليات، ويقطع أطرافًا، ويفتح البطون، وهو ما عنده تمكن من الطب، هذا يفسد الأبدان؛ إما بموت، وإما بعيب.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨)، وبيان تلبيس الجهمية (٢/ ٢٥٣)، والصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٧).

أما الطبيب الماهر، فلا، الطبيب الماهر يعرف كيف يجري العملية وما هي سلبياتها، وما تحتاج من العلاج. فرقٌ بين الطبيب الماهر والمتطبب، ولهذا جاء الوعيد الشديد على من تطبب وهو غير طبيب؛ لأنه يفسد الناس، ويفسد الأبدان.

ونصف النحوي: يفسد اللسان باللحن والخطأ في اللغة، ويزعم أنه نحوي، لا بد أن يتقن النحو، إذا كان يريد أن يتعلم النحو، يتعلم الطب، ولا يباشر العمليات إلا بعد الإتقان، لا يباشر التدريس، يدرِّس النحو إلا بعد إتقان النحو، المفتي لا يفتي إلا بعد أن يتقن الأحكام الشرعية بأدلتها؛ من أجل أن يفتي عن علم، المتكلم الذي دخل في علم الجدل لابد أن يُنهي الفن هذا، يُنهيه إنهاءً، لأجل أنه يعرف حقه من باطله، إن كان فيه حق يميز.

قوله: (وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَغَيْرِهِمْ هُمْ فِي الْغَالِبِ ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾)، المتكلمون من المتفلسفة، والمتفلسفة جمع متفلسف، والفيلسوف هو الحكيم عندهم، الفلسفة هي الحكمة عندهم؛ لأن المنطق من أين جاء؟ المنطق جاء من اليونان، جاء من العجم، ما هو من علوم المسلمين، ولا من علوم العرب، وإنما هو من فلاسفة اليونان؛ لأن اليونان هي أقدم بلاد العالم في الفلسفة والمنطق والأشياء هذه.

المتفلسفة لم يُجمعوا على رأي؛ لأنهم ليس لهم مصدر، وإنما مصدرهم اصطلاحاتهم، واصطلاحاتهم تختلف، كلٌّ يدّعي أنه مع الحق، فلذلك صاروا في قولٍ مختلف؛ ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات:٨، ٩].

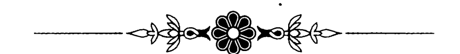
قوله: (يَعْلَمُ الذَّكِيُّ مِنْهُم الْعَاقِلُ: أَنَّهُ لَيْسَ هُوَ فِيمَا يَقُولُهُ عَلَى بِصِيرةٍ، وَأَنَّ حُجَّتَهُ لَيْسَتْ بَيِّنَةً وَإِنَّمَا هِيَ كَمَا قِيلَ فِيهَا:

حُجَجٌ تَهَافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا وَكُلٌّ كَاسِرٌ مَكْسُورُ)، هذا الذكي العاقل من علماء الكلام يعترف أنهم ليسوا على حق، وليسوا على جادة صواب، وقد نطقوا بذلك، ولهم أشعار وكلمات موجودة.

هذه حجج المنطق وعلم الكلام، لها لمعان كالزجاج، مزورة مزينة في الظاهر، لكن كلٌّ منها كاسر مكسور، كالحجة تكسر الأخرى:

حُجَجٌ تَهَافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَـقًّـا وَكُـلٌّ كَـاسِـرٌ مَـكْـسُـورُ

فيما بينهم، ولا يصلون إلى شيء؛ أنت -يا فلان- تقول كذا، والرد عليك كذا، وهم يقولون، وأنت تقول كذا، والرد عليك كذا...، ما توصلوا إلى شيء.



وَيَعْلَمُ الْعَلِيمُ أَنَّهُمْ مِنْ وَجْهٍ مُسْتَحِقُّونَ مَا قَالَهُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ قَالَ: (حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ وَيُقَالَ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ)(١).

وَمِنْ وَجْهٍ آخَرَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْقَدَرِ -وَالْحَيْرَةُ مُسْتَوْلِيَةٌ عَلَيْهِمْ، وَالشَّيْطَانُ مُسْتَحْوِذٌ عَلَيْهِمْ-، رَحِمْتَهُمْ، وَرَفِقْتَ عَلَيْهِمْ، وَأُوتُوا ذَكَاءً وَمَا أُوتُوا زَكَاءً، وَأُعْطُوا فُهُومًا، وَمَا أُعْطُوا عُلُومًا(٢)، وَأُعْطُوا سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف:٢٦].

الشرح

انظر! أئمة الإسلام الذين عندهم الثبات واليقين والعلم الراسخ ماذا يقولون في علم الكلام. هذا من باب التعزير لهم والإشهار لهم، تركوا الكتاب والسنة وأقبلوا على علم الكلام، فاستحقوا الإهانة أمام الناس.

لا شك أن الضلال -والعياذ بالله- والكفر أمرٌ مقدر من الله جَلَّ وَعَلَا، لايكون في هذا الكون من كفرٍ وإيمانٍ، وفسقٍ وطاعة، وهدى وضلال، وخير وشر، لا يكون إلا بقدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكن الله يقدر هذه الأشياء لأسباب من قِبل العبد، فهؤلاء لما أعرضوا عن تعلم الكتاب والسنة، عاقبهم الله جَلَّ وَعَلَا بزيغ القلوب؛ ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]، فلا حيلة فيهم؛ لأنه إذا زاغ

---

(١) انظر: سير الأعلام (١٠/ ٢٩)، وقال الذهبي عقبه: «لعل هذا متواترًا عن الإمام»، وانظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٧٢).

(٢) في نسخة: «أُعْطُوا عُلُومًا وَمَا أُعْطُوا فُهُومًا».

وضل، فليس هناك حيلة، فأنت إذا نظرت إليهم بهذا المنظار، فإنك تحمد الله على العافية، ولا تتشمت بهم؛ لئلا يصيبك ما أصابهم.

قوله: (**وَمِنْ وَجْهٍ آخَرَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْقَدَرِ -وَالحِيرَةُ مُسْتَوْلِيَةٌ عَلَيْهِمْ، وَالشَّيْطَانُ مُسْتَحْوِذٌ عَلَيْهِمْ-، رَحِمْتَهُمْ، وَرَفِقْتَ عَلَيْهِمْ**)، بعين قدر الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يكون في هذا الكون إلا ما قدّره الله، والله يقدر الهداية لمن فعل أسبابها، ويقدر الضلال لمن فعل أسبابه؛ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠]، فالسبب من عند العبد والقضاء والقدر من عند الله، والله لا يقدر هذا إلا عقوبة لصاحبه أو جزاء على حسناته، والله حكمٌ عدل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥، ٣٦]، ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص:٢٨]، الله يعطي كلًا على حسب عمله وسعيه، إن سعى في الخير، وفقه الله للخير، إن سعي في الشر، يسره الله للشر؛ عقوبة له، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧]، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥].

قوله: (**وَأُوتُوا ذَكَاءً وَمَا أُوتُوا زُكَاءً**)، أوتوا ذكاءً، عندهم عقول، لكنهم لم يأتوا زكاةً يعني: طهارة، لم يأتوا طهارة، ولم يستعملوا ذكاءهم فيما ينفعهم، بل استعملوه فيما يضرهم، فالله جَلَّوَعَلَا لم يظلمهم، أعطاهم ذكاءً، لكنهم لم يطهروا أنفسهم، فالله عاقبهم بالضلال -والعياذ بالله-، والذكاء بدون زكاة لاينفع، بل يضر صاحبه.

قوله: (وَأُعْطُوا فُهُومًا وَمَا أُعْطُوا عُلُومًا)، هم يفهمون، وليسوا مجانين ولامعتوهين، يفهمون، لكنهم لم يؤتوا علومًا، لم يستعملوا أفهامهم لطلب العلم النافع، بل استعملوها فيما يضرهم، والله يجازي العبد على حسب عمله في الخير والشر، لكنه بفضله يضاعف الحسنات، ويعطي عليها أجرًا كثيرًا، وأما السيئات، فلايزيدها، يعذب على قدرها؛ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، من أين جاءت له العشرة هذه، وهو ما له إلا حسنة واحدة؟ من فضل الله جَلَّوَعَلَا، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام:١٦٠]، هذا عدلٌ من الله جَلَّوَعَلَا، الله لا يضاعف عليه السيئات وإنما يجزيه بالسيئة سيئة واحدة فقط، هذا من باب العدل، وأما مضاعفة الحسنات، هذا من باب الفضل، وفضل الله لا حد له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، يضاعف لمن يشاء.

قوله: (وَأُعْطُوا سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾)، أعطاهم الله سمعًا، فلم يستفيدوا منه، وأبصارًا، فلم ينتفعوا بأبصارهم، وأفئدة -يعني: قلوبًا وعقولًا- لم يستفيدوا منها؛ لأنهم استعملوا هذه الأشياء في الباطل، وأما لو أنهم استعملوها في الحق، لو أنه استعمل سمعه بسماع الحق، وبصره للحق، والتفكر في آيات الله، والنظر في ملكوت الله، واستعمل قلبه لخشية الله عَزَّوَجَلَّ، وكان تفكيره فيما ينفعه، لكان ذلك خيرًا له، لكن لما عطّل هذه الحواس من الخير، استعملها في الشر؛ عقوبةً له، ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة:٤٢]، فتجد أصحاب الباطل إذا سمعوا الباطل، يرتاحون ويذهبون إليه، بل يسافرون له، أو الشهوات المحرمة يذهبون إليها، لكن إذا سمعوا الحق، لا يلتفتون إليه، يسمعون المؤذن: «حي على الصلاة، حي

على الفلاح»، ولايتحركون، يسمعون صوت المزمار والدفوف، يهرولون إليها، هذه طبيعة أهل الضلال، فهؤلاء لن يستفيدوا من أسماعهم ولا من أبصارهم ولا من عقولهم.

لما ذكر الله عقوبة قوم عاد، قال: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾، السبب: ﴿إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف:٢٦]، فليس هذا خاصًّا بقوم عاد، بل هذا مثالٌ ضربه الله للبشرية بأنها لا تسلك مسلك قوم عاد، بل تستعمل عقولها وأسماعها وأبصارها وقلوبها فيما ينفعها.



وَمَنْ كَانَ عِلِيمًا بِهَذِهِ الأُمُورِ: تَبَيَّنَ لَهُ بِذَلِكَ حِذْقُ السَّلَفِ وَعِلْمُهُمْ وَخِبْرَتُهُمْ؛ حَيْثُ حَذَّرُوا عَنِ الْكَلامِ وَنَهَوْا عَنْهُ، وَذَمُّوا أَهْلَهُ وَعَابُوهُمْ، وَعَلِمَ أَنَّ مَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَمْ يَزْدَدْ إِلَّا بُعْدًا.

فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَهْدِيَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، آمِينَ.

الشَّرح

قوله: (**وَمَنْ كَانَ عِلِيمًا بِهَذِهِ الأُمُورِ: تَبَيَّنَ لَهُ بِذَلِكَ حِذْقُ السَّلَفِ وَعِلْمُهُمْ وَخِبْرَتُهُمْ؛ حَيْثُ حَذَّرُوا عَنِ الْكَلامِ وَنَهَوْا عَنْهُ، وَذَمُّوا أَهْلَهُ وَعَابُوهُمْ**)، حذروا عن علم الكلام وتعلمه؛ لما يعلمونه فيه من العواقب الوخيمة، وأنه لا يكون بديلًا عن الكتاب والسنة، لا يكون علم الكلام بديلًا عن الكتاب والسنة؛ كما جعله هؤلاء بديلًا عن الكتاب والسنة، بل فضلوه على الكتاب والسنة، قالوا: (الكتاب والسنة أدلة ظنية، وهذا دليل عقلي يقيني)، أدلة يقينية. كذا يقولون.

هل حذروا منه ونهوا عنه وذموا أهله لأجل هوى أو تعصب؟ لا، إنما ذموا أهله وحذروا منه لعلمهم بعواقبه ونتائجه، والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤]، ويقول: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٣٦، ٣٧]، هذه المصيبة لأنه يحسب أنه مهتد، ولو كان يعلم أنه ضال، ربما يرجع لو كان يعلم أنه ضال، لكن غلبه الهوى والشهوة، ربما يرجع ويندم، لكن المشكلة يحسب أنه مهتد، فلا يرجع؛ ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٣].

قوله: (وَعَلِمَ أَنَّ مَن ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَمْ يَزْدَدْ إِلَّا بُعْدًا)، هذا في القرآن: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤]، فالهداية إلى الدين وإلى الدار الآخرة إنما هي في الكتاب والسنة؛ لأن الله أنزلهما لذلك رحمةً بعباده، ولم يتركهم لأهوائهم وأفكارهم ونزاعاتهم، بل أنزل عليهم الكتاب والسنة.

قوله: (فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَهْدِيَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، آمِينَ)، هذا الدعاء في آخر سورة الفاتحة، تقرؤه أنت في كل ركعة، ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:٦]، هذا صراط السلف الذي عليه السلف الصالح أهل السنة والجماعة، ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء:٦٩]، وتسأله أن يجنبك طريق المغضوب عليهم، وهم الذين علموا الحق، وتركوه عن علم -كاليهود مثلًا-، وطريق الضالين، وهم الذين يعملون على الجهل وضلال من النصارى والمتصوفة وعُباد القبور وغيرهم، هؤلاء يعبدون الله على جهل وضلال؛ لأنه -كما سبق- مصادرهم إما حكاية، وإما حديث مكذوب، وإما رؤية من الشيطان، وإما وإما.....

فهذه رسالةٌ عظيمة مفيدة جدًّا، لكن تحتاج إلى تأمل وإعادة نظر، وتكرار لقراءتها.

اللهم صلِّ وسلم على محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

